مقالات

الجغرافيا وتداعيات الحروب

16/09/2015 10:18:05 م

بقلم :- د. حمدى هاشم drhhashem@gmail.com

لاشك في حدوث تغيرات سكانية وبيئية بمناطق النزاع السياسي علي الحكم والسلطة والتي تؤدي إلي انهيار الدولة وتفكك المجتمع بانقسمات اقتصادية واجتماعية ودينية وعرقية وانعكاسات ذلك علي خريطة المنطقة الجغرافية،وتغير الحروب طويلة المدي من شكل الهرم السكاني للدولة وكذلك الحجم والتوزيع المكاني للسكان وما يتلازم معها من هجرة داخلية وخارجية خشية الإبادة الجماعية وتفشي الأوبئة والمجاعات خلال رحلة هروب محفوفة بالمخاطرإلي مناطق بديلة بدول الجوار أو دول بعيدة.

ويتعدي مسرح عمليات الحرب الأهلية المواقع العسكرية التقليدية إلي المناطق المدنية الآهلة بالسكان وما يعتري منطقة الصراع من دمار شامل وخسائر فادحة في الأرواح والبيئة الحضرية والطبيعية والتراث الإنساني، علاوة علي تفشي الأمراض النفسية ومتلازمة الحرب بمختلف مستوياتها بين فئات السكان ولا سيما الأطفال منهم والتي تدمر وجدان من يتعايشون مع الحدث ومواجهة الموت بل تسكن نفوس هؤلاء النازحين بملاجئ الدول البديلة والتي يلزمها تدخل نفسي طويل المدي لتخطي آثارها العميقة

وقد شهد العالم خلال مراحل تاريخه المعاصر العديد من الحروب العسكرية الدموية شملت مناطق جغرافية محدودة وأخري واسعة وكذلك الكثير من ألوان الحروب الأهلية والتي تم الاستفادة منها كمرجعيات استراتيجية لتطوير وسائل وأنواع الحروب في البر والبحر والجو، وتعود في الغالب مغانمها الاقتصادية والسياسيةعلي تكتلات وتحالفات إقليمية ودولية، ويتم بعد ترسيم خريطة المناطق المنكوبة تقييم الأضرار وطرح مبادرات دولية للإعمار مع تورتة الرأسمالية لشركاتها العالمية متعددة الجنسيات.

نأتي للنموذج السوري من الحروب التي أتت علي بقايا القومية العربية علي أرض الواقع وذلك لأهميتها الاستراتيجية لدولة إسرائيل، والعملية مستمرة في الغالب لتقليم أظافر الجيوش القوية بدول الجوار الجغرافي لتعزيز أمن إسرائيل في محيطها البيئي، وقد فقدت سوريا كماً من القتلي اختلفت علي تقديره جهات محلية ودولية والثابت تعرض نصف عدد السكان فيها للتهجير بمعسكرات الإيواء البائسة في الجوار وملايين اللاجئين إلي الدول الأوربية في ظل موقف متخاذل من دول الأغنياء العرب تجاه دولة عربية شقيقة.

وتقف الوحدة التاريخية بين مصر وسوريا بما تركته بين شعبيهما من بقايا الفطرة العربية وراء انخراط اللاجئين السوريين بين أهلهم في مصر. وبعد التأكد من قياس نتائج هذه الحرب التي شاركت فيها فصائل عسكرية متنوعة التمويل وعلي رأسها تنظيم داعش الإسلامي لإنهاك قوة الجيش السوري النظامي علي الأرض وتعقيمه تجاه حرب أخري مع إسرائيل بدأ التلويح بضرورة إيجاد حل جذري تدعمه قوي سياسية دولية ذات مصالح اقتصادية في المنطقة. وقد ربطت ذاكرتي عفوياً اجتياح الجيش العراقي للكويت بوهم الحق التاريخي في الأرض وما يحدث اليوم من تدخل عسكري في منطقة اليمن الجغرافية وتطاردني كوابيس يقظة عن وفاة الوحدة العربية وجغرافيتها مع اتجاه موجات الهجرة الخارجية للأشقاء السوريين علي دروب الموت نحو فردوس الغرب وليس في محل الشرق المنتظر والأحق بها، وستظل الآثارالنفسية العميقة من جراء الحرب وعقدها عبر أجيال قادمة، وتدل مبادرة التضامن الإنساني التي أطلقها قداسة «بابا الفاتيكان» باستقبال الكنائس الأوروبية هؤلاء اللاجئين علي خواء روحي قد زلزل الثوابت الأخلاقية وأظهر هشاشة القومية العربية، وبرؤية الجغرافيا التخيلية تستعد»الدولة الإسلامية المقدسة» لإطلاق بيان مشابه في المستقبل الوشيك لاحتواء النتائج الإيديولوجية لحروب أهلية بدلت خريطة الشرق الأوسط.